جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس - المغرب

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس

شعبة علم النفس

مسلك علم النفس

الوحدة:

السلوكات ضد اجتماعية عند الطفل والمراهق

الفصل السادس من المسلك

المؤطر: دة. نجاة بلعربي

السنة الجامعية: 2019-2020

محاور مقرر الوحدة:

- مقدمة

I- تمظهرات السلوك ضد اجتماعي في مرحلة الطفولة

II- المقاربات المختلفة للسلوك ضد اجتماعي في مرحلة الطفولة

III- تمظهرات السلوك ضد اجتماعي في مرحلة المراهقة (جنوح الأحداث نموذجا)

IV- التدخل العلاجي في مجال السلوكات ضد اجتماعية عند الطفل والمراهق

المصادر والمراجع:

- J. D. AJURRIAGUERRA: « Manuel de psychiatrie de l'enfant », Masson, 1977, 2e édition.
- PH. Mazet et D. Houzel (1993): «Psychiatrie de l'enfant et de l'adolescent», MALOINE, Paris, 1993.
- Maurice CUSSON: «Délinquants, pourquoi?», Armand colin, Paris, 1981.
- Claudine GEISSMANN et Didier HOUZEL: «L'enfant, ses parents et le psychanalyste», Le Centurion, 2000.
- Barry H. Schneider, Sébastien Normand: «Conduites Agressives Chez L'Enfant: Perspectives Développementales et Psychosociales», PUQ, 2009.
- Jean-Marc Colletta, Anna Tcherkassof: «Les émotions: cognition, langage et développement», Editions Mardaga, 2003.

السلوكات ضد اجتماعية عند الطفل والمراهق

- مقدمة:

- ✓ إن السلوك هو مجموعة متنوعة ومختلفة من ردود الفعل تجاه مجموعة من المثيرات الداخلية أو الخارجية، والتي تسمح بتكيف الفرد مع البيئة التي يعيش فيها.
- ✓ بتعبير آخر، السلوك هو وسيلة للتواصل والفعل في الوسط المحيط. وهو تعبير كذلك عن الحالات الانفعالية والوجدانية بقدر ما هو أيضا أفعال شعورية وقرارات منطقية وعقلية.
- ✓ مع النمو، تميل سلوكات الفرد إلى الانتظام في نمط معين يشكل لبنة أساسية في شخصية هذا الفرد؛ بمعنى مجموع أنماط التفكير والاحساس والفعل التي تميز فردا ما.
- ✓ مهما اختلفت المرجعيات النظرية لتعريف ما يسمى بالسلوك، فإن هذا المفهوم يعتبر تمظهرا مرئيا لسيرورات معقدة؛ بعضها شعوري والبعض الآخر لاشعوري ولا يمكن التحكم فيه ومعرفته بطريقة معزولة.
- ✓ ومع ذلك، فالتصورات الحالية والمعاصرة، لا تأخذ هذا التعقيد بعين الاعتبار وتقتصر فقط على تصور اختزالي؛ فهي تنظر إلى السلوك باعتباره نتاجا بسيطا للاشتغال البيوعصبي.
- ✓ إن هذا التصور هو الذي يشكل المرجعية التي تعتمد عليها غالبية التصنيفات المعاصرة.
- ✓ نميز في السلوك بين السلوك المضطرب والسلوك السوي؛ إن اضطراب السلوك هو عبارة عن مجموعة من الأعراض السيكو-سوسيولوجية المرضية التي تعرقل العلاقة الراهنة بين الطفل ومحيطه (هذه الأعراض تكون نتيجة عوامل خارجية وصراعات داخلية لاشعورية).

- ✓ وهو اضطراب يثير بالضرورة ردود فعل سلوكية في الوسط المعيش تضع الأنماط التربوية المتبعة من قبل الوالدين والمجتمع بأسره موضع تساؤل وانتقاد في بعض الأحيان.
- ✓ كما أنه اضطراب يستدعي طلب المساعدة والمشورة والتدخل من قبل أخصائيين ينتمون إلى تخصصات علمية مختلفة (علم النفس، علم الاجتماع، علم الأعصاب، القانون ...).
- ✓ وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة السيكو-تكوينية لنمو الطفل تؤكد على أن السلوكات التي تعتبر طبيعية عند الأطفال الصغار (مثل: العدوانية، نوبات الغضب، العناد والسرقة، استخدام الأسلحة، الكذب ..) لا تختلف في طبيعتها عن اضطرابات السلوك عند الأطفال الأكبر سنا.
- ✓ وإن ما يشكل النقطة الفارقة بين الوضعيتين هو: استمرارها وتكرارها مع التقدم في السن. وهو الأمر الذي يدل على خلل في النمو.
- ✓ وفي هذا الإطار، نتحدث عن السلوكات ضد اجتماعية باعتبارها تمظهرا أساسيا من تمظهرات اضطرابات السلوك.
- ✓ وقبل الخوض في التمظهرات المختلفة للسلوكات ضد اجتماعية، سنعمل على الوقوف على المقصود بالسلوك الاجتماعي والسلوك ضد اجتماعي.

- **السلوك الاجتماعي:** هو كل سلوك يتلاءم مع ما هو مقبول أو متفق عليه مجتمعيا.
- **والسلوك ضد اجتماعي:** هو سلوك ينحرف عن المعايير والقيم المقبولة مجتمعيا. وهو موجه ضد فرد أو جماعة أو ممتلكات.

- ✓ وبمعنى آخر، تتمثل السمة الأساسية للسلوكات ضد اجتماعية في الاعتداء على حقوق الغير وعلى المعايير الاجتماعية.
- ✓ سنعمل فيما سيأتي على مقاربة ظاهرة السلوك ضد اجتماعي، محاولين الإجابة على مجموعة من التساؤلات، من قبيل:

- ما هي التمظهرات المختلفة للسلوك ضد اجتماعي في مرحلة الطفولة وفي مرحلة المراهقة؟ وما هي أسبابها؟
- وهل تختلف طبيعة السلوك ضد اجتماعي الذي يبدأ في مرحلة الطفولة عن طبيعة ذلك الذي يظهر في مرحلة المراهقة؟
- وما هي عوامل الخطر المسؤولة عن ظهور مثل هذه السلوكات وتثبيتها في شخصية في طور النمو؟

I- تمظهرات السلوك ضد اجتماعي في مرحلة الطفولة

1- السلوك العدواني:

- إن السلوك العدواني هو سلوك يمكن ملاحظته وتحديده وقياسه.
- ويأخذ صورا وأشكالا متعددة ومختلفة ويكون إما سلوكا بدنيا أو معنويا، مباشرا أو غير مباشر. وتتوفر فيه صفة الاستمرارية والتكرار.
- ويعبر عن انحراف الفرد عن معايير الجماعة مما يترتب عنه إلحاق الاذى والضرر البدني والمادي والنفسي بالآخرين وبالنفس.
- عموما نقصد بالسلوك العدواني في مرحلة الطفولة، كل السلوكات العنيفة المادية الموجهة ضد الغير وضد النفس، من قبيل (العض، الخدش، توجيه لكمات...).
- وتعتبر هذه السلوكات عادية وغير مرضية وضرورية لنمو الطفل فيما بين السنة الاولى والسنة الرابعة على الرغم من كونها تمظهرات أساسية لاضطراب السلوك.
- فبفضل التعبير عن عدوانيته يتمكن الطفل من تأكيد وإثبات ذاته أمام الآخرين كذات متميزة ومختلفة.
- وتظهر هذه السلوكات بشكل كبير عند الأطفال كثيري الحركة وعند الذكور خصوصا.
- ورغم بساطة هذه السلوكات، فإنه لابد من الإشارة إلى ما قد تسببه من اضطرابات في التكيف عند الطفل داخل الجماعة، سواء في الحضانة أو في الروض في حين يتم التساهل معها داخل الأسرة.

- وعندما يتجاوز الطفل سن الرابعة، وباكتسابه لوسائل جديدة للتعبير عن ذاته وتأكيدها لمواجهة الإحباط بفضل تمكنه من اللغة، فإن استمرار السلوك العدواني هو ما قد يجعل منه سلوكا مضطربا نتيجة معاناة الطفل من الإحباط أو لعدم تمكنه من وسائل مقبولة لإثبات ذاته.
- وهو الأمر الذي يدل على عدم نضج "الأنا"؛ وهي حالة الأطفال الذين عانوا من حرمان عاطفي مبكر أو أطفال لم يتمكنوا من فك الارتباط بأمهاتهم مبكرا.
- كما قد يكون هذا السلوك نوعا من تقمص المعتدي.
- وقد يكون السلوك العدواني نتيجة إصابة الطفل بخلل أداتي أو حسي يمنع الطفل من المرور الى أنماط أخرى من التعبير أو من السلوك؛ وهي حالة الأطفال الذين يعانون من تأخر اللغة أو الصمم أو العمى.
- تلعب الوراثة أيضا إلى جانب الوسط دورا مهما في ظهور السلوكات العدوانية لدى أفراد الأسرة الواحدة (التوائم المتطابقة).

2- سلوك السرقة

- السرقة سلوك شائع جدا عند الأطفال في سن 4-5 سنوات. والغالبية العظمى من الأطفال سرقوا مرة أو مرتين على الأقل.
- نتحدث عن سلوك السرقة لدى الطفل، عندما يتكون لديه مفهوم"الممنوع"و"المسموح به".
- وهي نفس السن التي يكون فيها الطفل قادرا على التحكم في وظائف الإخراج.
- بمعنى آخر، عندما يكتسب الطفل مفهوم الفردية، سيتمكن من التمييز بين ما يخصه (ما هو شخصي) وبين ما لا يخصه (ما يخص الآخرين).
- وكذلك عندما يتمكن من التمييز بين الخير والشر.
- وكل هذه الأمور مرتبطة بقانون الجماعة والعيش داخل الجماعة.
- يرتبط سلوك السرقة، أيضا وخصوصا، بمفهوم الملكية الخاصة، فالطفل عندما يسرق في سن مبكرة، لا يفعل ذلك بدافع السرقة لأنه يجهل معنى الملكية الخاصة؛

- فهو يعتقد أن ما يفعله ليس أمرًا مذمومًا أو غير مقبول مجتمعيا؛ لأنه لم يصل إلى مستوى النمو العقلي والاجتماعي الذي يمكنه من التمييز بين ممتلكاته وبين ممتلكات الغير.
- وتقتصر السرقة في الطفولة المبكرة على الوسط الأسري؛ غالبًا ما تكون المسروقات شيئا يؤكل (طعاما أو حلوى أو نقودا).
- ثم يتطور الأمر، فيسرق الطفل أشخاصا يعرفهم ولكن من خارج الوسط الأسري (في الوسط المدرسي مثلا).
- أما في سن المراهقة، فيشمل هذا السلوك المجتمع الأكبر (السرقة من المحلات وسرقة البيوت ... إلخ).
- والسرقة عند الطفل الصغير ليست بالضرورة سلوكا يؤدي إلى الجنوح في سن المراهقة.
- انطلاقا مما سبق، لابد من التأكيد على أن مفهوم السرقة لا يتكون عند الطفل قبل سن السادسة أو السابعة. لهذا، لا يصح وصف الطفل بالسارق أو اللص قبل هذه السن.
- ولا يعتبر فعل السرقة سلوكا مضطربا إلا إذا تكرر. وفي هذه الحالة، يمكن البحث عن الأسباب وراء هذا السلوك والتي قد يخفيها الطفل، مثل: الخوف، رغبة اندفاعية يصعب عليه التحكم فيها، فقدان الثقة في الذات، القلق، التوتر، أو الرغبة في أن يكون مثل الآخرين، أو الحاجة إلى الحب والحنان والعطف.

3- سلوك الكذب

- الكذب هو قول غير حقيقي مع معرفة أنه كذب وبنية الغش أو خداع شخص آخر من أجل الحصول على فائدة ما، أو من أجل التملص من أشياء غير مرغوب فيها.
- وهو سلوك غير سوي، إلا أنه يعد ظاهرة طبيعية في السنوات الأولى من عمر الطفل. لذلك لا يمكن الحديث عن الكذب عند الطفل في سن ما قبل 6 أو 7 سنوات.

- لا نستطيع وصف سلوك الطفل بالكذب إذا لم يكتسب مفهوما واضحا عن الصحيح والخطإ وعن الحقيقة والخيال (فالطفل يعتقد أنه بمجرد ما نقول شيئا ما، فهذا يجعله حقيقيا).
- والكذب لا يعتبر عرضا مرضيا إلا إذا تكرر وأصبح عادة عند الطفل فيما بعد سن السادسة أو السابعة.
- وفي هذه الحالة يعتبر الكذب مشكلة حقيقية، خصوصا، عند يتمكن الطفل من استيعاب القواعد الاجتماعية.
- ويتمظهر الكذب في أشكال مختلفة تبعا للحالات والوضعيات التي يكون فيها الطفل، وذلك على الشكل التالي:

أ- الكذب النفعي:

- ✓ في البداية، من الطبيعي أن يحاول الطفل تكييف الواقع مع رغباته للحصول على مصلحة ما وتجنب متاعب معينة، فهو لا يجد طريقا سهلا للوصول إلى ذلك إلا باختلاق الأكاذيب.
- ✓ وفيما بعد، وكنتيجة للنمو وللاستدخال التدريجي للقوانين الاجتماعية، يتمكن الطفل من احترام الواقع حتى لو سبب له ذلك نوعا من الانزعاج لأنه في المقابل يحظى بالتقدير من قبل محيطه. وهذا الاستدخال لا يتم إلا في ظروف وجدانية علائقية وتربوية ملائمة.
- ✓ إن هذا النوع من الكذب قد يكون انعكاسا لظروف وبيئة تربوية معينة.
- ✓ وخير مثال على ذلك إخفاء وتزوير النتائج المدرسية السلبية. وهي الوضعية التي قد تقود الطفل إلى سلسلة متتابعة من الأكاذيب.
- ✓ وقد يكون سلوك الكذب معتادا أيضا عند الأطفال الذين يعانون من عدم نضج الأنا والذين يميلون إلى المرور إلى الفعل.

- ✓ وغالبا ما تكون هذه الأكاذيب مصاحبة بأنواع أخرى من اضطرابات السلوك ومرتبطة بها، من قبيل: السرقة والهروب من المنزل؛ إذ غالبا ما يكذب الطفل لإخفاء سرقة أو لتبرير هروب ما من المنزل.

ب- الكذب العصابي:

- ✓ تتمثل وظيفته الأساسية في تعويض خيالي لما قد يحس به الطفل من نقص أو دونية؛ فالطفل قد يختلق أبا غنيا وقويا أكثر مما هو عليه في الواقع. وهذا النوع من تزييف الواقع هو نوع من القصص أكثر منه كذبا.

ج- الكذب والاعاقة الذهنية

- ✓ يكثر الكذب ورواية القصص عند الشخص الذين يعاني من مستوى ذهني منخفض. ويكون هذا نتيجة عدم تمكنه من استيعاب واستدخال القوانين الاجتماعية، أو كتعويض للنقص الذي يحس به نتيجة الإعاقة.

4- سلوك الهروب

- ✓ الهروب هو مغادرة الطفل للمكان الذي يوجد فيه للتسكع دون هدف واضح لساعات أو لأيام عديدة، دون إذن أو إخبار.
- ✓ هنا أيضا، يجب انتظار وصول الطفل سن 6 أو 7 سنوات كي نتحدث عن الهروب.
- ✓ الهروب لمدة أطول قد تتجاوز اليوم يعتبر ظاهرة نادرة الحدوث عند الطفل وتحدث بنسبة أكبر في مرحلة المراهقة (وغالبا ما يهرب الطفل لساعات قليلة من المنزل أو من المدرسة).
- ✓ ومن أسباب الهروب، نجد: التفكك الأسري، الخلافات بين الوالدين، إدمان الأب أو أحد أفراد الأسرة على الكحول أو على المخدرات، الحرمان العاطفي، الانفصال المبكر عن الأم، الخوف من العقاب نتيجة ارتكاب خطإ ما...
- ✓ يعتبر الهروب من المدرسة من بين أنواع الهروب التي تتطلب نوعا خاصا من الاهتمام نظرا لانتشاره بين الأطفال ولما يثيره من ميكانيزمات دفاعية؛ خصوصا الخوف المرضي من المدرسة الذي يتمظهر في شكلين اثنين:

أ- هروب الأطفال من المدرسة في بداية مسيرتهم الدراسية حوالي سن السادسة والسابعة بسبب قلق الانفصال عن الأم.

ب- هروب الأطفال الأكبر سنا والذين يتراوح عمرهم ما بين 10 و11 سنة بسبب القلق من المدرسة نتيجة معاناتهم من صعوبات تعلمية أو لأسباب أخرى متنوعة، من قبيل: صعوبة المنهاج الدراسي وعدم ملاءمته لقدرات الطفل، عدم اهتمام الأسرة بالطفل وبتعليمه، الأساليب التربوية غير الناجعة المتبعة من قبل المدرسين ...

II- المقاربات المختلفة للسلوك ضد اجتماعي في مرحلة الطفولة

1- نظرية التحليل النفسي

- ✓ يؤكد أغلبية المحللين النفسيين على المعنى الرمزي للسلوكات ضد اجتماعية وعلاقتها بالاضطرابات الوجدانية في الطفولة المبكرة؛
- ✓ تربط Kate Friedlander ما تسميه ب"السلوك ضد اجتماعي" بالتجارب المبكرة غير المشبعة المتسمة بتناوب غير منسجم بين المكافآت والإحباطات، الأمر الذي يمنع "الأنا" من الانتظام حول "مبدأ الواقع".
- ✓ أما J.Bowlby ، في دراسته لأربع وأربعين 44 سارقا ومقارنتهم بمجموعة ضابطة، بيَّن تأثير الانفصال المبكر عن الأم.
- ✓ فيما يفسر وينيكوت D.W.Winnicott السلوكات ضد اجتماعية (عدوانية، سرقة، كذب، هروب ...) باعتبارها رد فعل الطفل تجاه اخفاق وفشل وعجز مبكر للوسط الذي تمثله الأم في البداية، وبعد ذلك المجتمع ككل والذي ستوجه له هذه السلوكات لتصبح ضد اجتماعية.
- ✓ وفي هذا السياق، يرى وينيكوت أن أسباب ميل الفرد إلى السلوكات ضد اجتماعية ترجع إلى الطفولة المبكرة نتيجة الحرمان الوجداني الذي قد يعاني منه في هذه المرحلة.
- ✓ فالطفل في هذه الحالة يحس بأنه ضحية وعليه استرجاع حقوقه الأساسية التي سلبت منه. لذلك، فهو يثور في كبره ليرجع حقا سلب منه في الصغر.

- ✓ إن الطفل الذي يسرق، مثلا، قد يتصرف هكذا لأنه يؤمن أنه يرجع حقا (حنانا، حبا، اهتماما) سلب منه. فما يسرقه الآن، يرمز ويعوض بداخله الحنان المفقود.
- ✓ ويرى "وينيكوت" أن الميولات ضد-اجتماعية تلاحظ عند غالبية الأطفال، فهي صعوبة وجدانية. واستقبالها من قبل أسرة الطفل هو الذي قد يعززها لتصبح أحيانا اضطرابا أو على العكس يتم تجاوزها من قبل الطفل.
- ✓ من هنا أهمية الطفولة في النمو السليم الذي من أساسياته ملاءمة الوسط مع خصائص واحتياجات الطفل وذلك من خلال العلاقة أم-طفل.
- ✓ فالرضيع يكون في أمس الحاجة إلى وسط حام ومؤمن يراعي حاجاته الأساسية.
- ✓ يذهب وينيكوت إلى حد القول بأن بعض الأطفال يتميزون بطريقة خاصة مزعجة ومثيرة لطلب العون، تتمثل خصوصا في سلوكات السرقة، الكذب، التدمير، والهروب... (تمظهرات السلوك ضد اجتماعي).
- ✓ غير أن هذا التفسير لا يحظى كثيرا بالقبول، خصوصا وأن هذه الأعراض تزعج المحيط لدرجة لا تحتمل.
- ✓ وبتأكيده على الدور الذي يلعبه الحرمان الوجداني في السنوات الأولى من عمر الطفل باعتباره أصل الاضطراب الذي قد يتمظهر في مرحلة المراهقة، يتحدث "وينيكوت" عن الميول ضد اجتماعية التي لا تعتبر جنوحا.
- ✓ فالجنوح، باعتباره نتيجة لسلوك معاد للمجتمع، يتميز بعواقبه الوخيمة المسجلة على مستوى الواقع الاجتماعي. وهو تمظهر من التمظهرات المختلفة التي يمكن أن يتخذها السلوك "ضد اجتماعي" عندما يتثبت ويصبح هوية اجتماعية بالنسبة للفرد الشاب.

2- المقاربة البيولوجية

- تحاول الدراسات في هذا المجال الكشف عن أهمية دور الوراثة والوسط في ظهور السلوكات ضد اجتماعية لدى أفراد أسرة معينة.
- وقد تم الاعتماد على عينات مكونة من التوائم المتطابقة، إخوة، أطفال التبني، وذلك باعتماد الطريقة الطولية ابتداء من الطفولة حتى سن الرشد (Dodge et al., 2006).

- لقد تمت ملاحظة ارتفاع السلوك ضد اجتماعي لدى التوائم المتماثلة.
- كما تؤكد مجموعة من الدراسات حول التوائم المتطابقة الذين فصلوا عن آبائهم والذين تم تبنيهم، على أن هناك ارتباط ذي دلالة إحصائية بين ارتفاع نسبة العدوانية لدى الأطفال من آباء بيولوجيين ذوي سلوك مضاد للمجتمع أو أحد من أسرهم.
- وعلى الرغم من أهمية الدراسات الجينية لفهم تطور السلوك العدواني، إلا أنه لم يتم تحديد جين معين مسؤول لوحده عن العدوانية لدى الفرد. وذلك راجع إلى مجموع التفاعلات الديناميكية والمترابطة بين الجينات والوسط.
- انتقاد النظرية الوراثية (لم يبرهن عليها كفاية)؛ فالسلوك ضد اجتماعي هو ظاهرة معقدة تقوم فيها مجموعة من العوامل بدور مهم وجوهري (بيئية، شخصية، أسرية، اجتماعية، فيزيولوجية ...).
- ومن بين العوامل الجينية الأخرى التي تجعل الإنسان أكثر ميلاً للعنف والعدوانية، نجد:

- ارتفاع نسبة هرمون الذكورة (تستوستيرون Testostérone)، سواء لدى الرجل أو المرأة أو الطفل، والذي يجعل الفرد أكثر عدوانية وأكثر ميلا للعنف.
- نقص السيروتونين Sérotonine(وهو أحد الموصلات العصبية المهمة) وتفاعله مع عوامل بيئية واجتماعية خارجية، يؤدي إلى ظهور العدوانية والسلوكات ضد اجتماعية بشكل عام.

3- نظرية التعلم الاجتماعي:

- ✓ يقصد بالتعلم الاجتماعي، تعلم الفرد لاستجابات أو لأنماط سلوكية جديدة من خلال موقف أو وضعية اجتماعية معينة.
- ✓ السلوك ضد اجتماعي والسلوك العدواني خصوصا، هو سلوك اجتماعي متعلم مثل غيره من أنواع السلوكات الأخرى.
- ✓ وفي هذا الإطار، يؤكد " باندورا " على أن غالبية السلوكات العدوانية مُتَعلمة من خلال الملاحظة ومحاكاة النموذج (القدوة).

- ✓ الفرد يقلد النماذج المحيطة به والتي يلاحظها؛ فالأطفال يتعلمون السلوك العدواني بالملاحظة والتعزيز من الأسرة، والمدرسة، والوسائل السمعية البصرية.

4- المقاربة المعرفية والعصبية

- ➢ تؤكد هذه المقاربة على أن هناك علاقة بين **اضطراب بعض الوظائف المعرفية** للدماغ والسلوكات ضد اجتماعية؛ قد يعاني الأطفال والمراهقون ذوو السلوكات ضد اجتماعية من صعوبات على مستوى النطق مقارنة مع غيرهم من الأطفال والمراهقين الذين لا يعانون من هذه السلوكات.
- ➢ تؤكد بعض الدراسات على وجود علاقة بين الخلل على مستوى الفص الجبهي (يتمثل دوره الأساسي في تنظيم الغضب والعدوانية) وظهور السلوكات ضد اجتماعية لدى الفرد (Tranel et Damasio, 1999) .
- ➢ تُعزى السلوكات ضد اجتماعية إلى أسباب مرتبطة بوجود اضطراب في **الوظائف الإجرائية أو التنفيذية (exécutives)** للفص الجبهي (الكفاءات الذهنية التي تسمح لكل فرد من التحكم في سلوكه ومن أن يكون مرنا تجاه مهمة معينة، وأخذ المبادرة في فعل ما، ووضع الأهداف والتخطيط والسببية والقدرة على تأخير الاستجابة، مثلا)، وهو ما يؤثر على العمليات الذهنية التي تساعد على تنظيم الانفعال بطريقة مقبولة اجتماعيا (Zéguin et Zelazo, 2005).
- ➢ **الاضطراب على مستوى معالجة المعلومة الاجتماعية:**

- ❑ السلوك ضد اجتماعي يكون نتيجة اضطراب على مستوى مهارات حل المشكلات والتواصل (Crick et Dodge, 1994)؛
  - ✓ تفسير السلوك ضد اجتماعي انطلاقا من طبيعة إدراك الفرد للأشياء والمواقف في وسطه، ومن خلال أسلوب معالجة المعلومات والإطار المرجعي للفرد وأسلوبه في حل المشكلات.
  - ✓ فمن المعروف حسب نماذج معالجة المعلومات الاجتماعية، يواجه الطفل وضعية اجتماعية جديدة وهو يتوفر على شبكة من النورونات المعدلة من قبل

العوامل الوسطية والجينية لمدة طويلة وسلسلة متراكمة من التجارب الاجتماعية على مستوى الذاكرة (Dodge et al., 2006).

- ✓ هكذا، يرتبط رد فعل الطفل في وضعية جديدة بطبيعة معالجة المعلومات الاجتماعية لديه في هذه الوضعية (غالبا ما قد يفسر الموقف بطريقة غير سليمة).

III- تمظهرات السلوك ضد اجتماعي في مرحلة المراهقة (جنوح الأحداث نموذجا)

تمهيد:

- عندما يتثبت السلوك" ضد اجتماعي" ويصبح هوية اجتماعية للفرد الشاب، نتحدث عن ما يسمى بجنوح الأحداث، باعتباره تمظهرا من التمظهرات المختلفة التي يمكن أن يتخذها السلوك ضد اجتماعي في مرحلة المراهقة. وهذا ما يجعلنا ننفتح على مجموعة من التساؤلات، من قبيل: - ماذا نقصد بالجنوح؟ وما هي الأسباب والعوامل المساعدة على ظهوره وانتشاره؟
- بما أن عوامل الجنوح متنوعة ومظاهره متعددة، كان من الصعب إعطاء تعريف واحد ودقيق الأمر الذي أدى إلى اختلاف وجهة نظر كل من علماء النفس والاجتماع ورجال القانون فيما يخص مفهوم الجنوح. ذلك أن كل فئة تنظر إليه من زاوية اختصاصها.
- فمن الناحية القانونية، يعتبر الحدث جانحا إذا قام بفعل يعاقب عليه القانون؛ فالسلوك المنحرف مهما استنكره الناس، لا يدخل في نطاق السلوك الإجرامي ما لم ينص القانون الجنائي على ذلك.
- ويعرف علماء الاجتماع الجنوح باعتباره سلوكا يقوم به الحدث منتهكا المعايير المجتمعية. وهذا السلوك لا يكون نتيجة لدوافع فردية وإنما ينشأ نتيجة مجموعة من العوامل المجتمعية المختلفة التي يخضع لها.

- أما علماء النفس، فيؤكدون على أن الجنوح يرجع إلى نوع من اضطراب السلوك أساسه اضطراب في النمو النفسي نتيجة عوامل مختلفة. وقد يؤدي هذا الاضطراب في السلوك إلى اضطراب في بعض جوانب الشخصية.
- وتبعا لذلك يركز غالبية علماء النفس اهتمامهم على شخصية الحدث الجانح ومراحل تطور هذه الشخصية، مؤكدين على أهمية ودور الصراعات النفسية الداخلية في مرحلة مبكرة من حياة الطفل في تكون "الشخصية الجانحة".
- وبهذا، نستنتج أن مفهوم الجنوح، هو مفهوم نسبي، وشكل من أشكال اللاتكيف النفسي والاجتماعي والقانوني في زمن ومكان معينين.
- انطلاقا مما سبق، نرى أن ظاهرة جنوح الأحداث تتميز بالتعقيد، وذلك راجع لتعدد السلوكات العدوانية وتطورها مع التقدم في السن الأمر الذي يتطلب أنواعا مختلفة من الدراسات والتحليلات، والتفسيرات.
- فالبعض يعتقد أن تنازل الآباء وعدم جودة النظام التربوي يشكلان سببين رئيسيين لهذه الظاهرة. ويركز بعضهم على الفقر.
- أما آخرون، فيرون أن هذه الفئة هي "نتيجة بذرة خبيثة"؛ فآباءهم كانوا يعانون هم أيضا من صعوبات متنوعة، وكانوا انعكاسا لمجتمع يتميز بالعدوانية والفوضوية.
- وفي المقابل، تتفق الدراسات العلمية في هذا المجال على نقطة أساسية تتمثل في أنه لا يمكن تفسير عدوانية الأطفال بالاعتماد على عنصر واحد.
- ويعني هذا، ومثل كل ظاهرة معقدة، أن جنوح الأحداث ليس له تفسير بسيط.
- وقد تم بناء على هذا، تحديد مجموعة من العوامل الشخصية والأسرية والاجتماعية التي تزيد من احتمال الجنوح دون أن تعتبر عوامل مباشرة ومسببة لهذه الظاهرة. وكل عامل من هذه العوامل يتطلب تدخلا خاصا وملائما.

1- العوامل المساهمة في جنوح الأحداث:

1.1- العوامل الاجتماعية:

- يَعتبر الكثيرون أن جنوح الأحداث نتيجة لظروف اجتماعية. والبعض يذهب إلى حد التأكيد على أن الطفل الجانح طفل سوي هو ضحية لأسباب عرضية خارجية.
- وفي المقابل نجد من يؤكد على أنه قبل أن تظهر العلاقات الخارجية، يجب أن تُستدخَل في شخصية في طور النمو، وهذا لا يعني التنقيص من أهمية العوامل الاجتماعية.
- كما يوجه البعض أصابع الاتهام للتحضر، وذلك انطلاقا من ارتفاع عدد الجانحين في المدن بالمقارنة مع القرى ونظرا لما يتبع التحضر من تعقيد في حياة الأفراد وتفكك المؤسسات.
- ويؤكد آخرون على أهمية عامل الهجرة وما يتبع ذلك من تغيير في معايير الحياة وعدم التكيف الاجتماعي. وقد تكون لمسألة الجنوح علاقة بمشكل العرق والأصول الإثنية.
- وفضلا عن ذلك، ركز باحثون آخرون على تأثير وسائل الإعلام من تلفزيون وسينما وصحافة.
- وإذا كان بعض هؤلاء يرى أن تأثير هذه الوسائل محددٌ أساسي، فإن البعض الآخر (Bovet مثلا) يعتبر أن هذه الوسائل يمكنها أن تحدد الشكل الذي تأخذه جنحة ما وليس فكرة ارتكاب الجريمة في حد ذاتها.
- وتبعا لـ J. de Ajurriaguerra، فإن وسائل الاتصال السمعية والبصرية تُجمِّل السلوك العدواني بإظهارها ليونة في عدم معاقبة السلوك الإجرامي،
- ويمكنها أن تلعب دورا في البنية الجانحة سواء بسبب ميكانيزم المحاكاة أو بسبب إعطائها سمة واقعية لجزء من حياتنا الفونتازمية وموافقة ضمنية أو معيشة لتجسيد غرائزنا،
- وقد تؤدي خصوصا إلى اضطراب ميكانيزم تقمص هؤلاء الشباب لشخصية آبائهم بمنحهم إمكانيات تقمص مختلفة أو متناقضة وبخلق صور مثالية لتأكيد الذات تخالف بنية الأنا لديهم ومتطلبات الأنا الأعلى الذي يكون في طور النمو.

- إن العوامل السوسيو-اقتصادية تلعب بدون شك دورا مهما في عدم تكيف الأحداث، ولكن ليس دائما.
- وكما بين ذلك العديد من السوسيولوجيين، فإن المشكل لا يُطرح فقط على مستوى الفئات الفقيرة أو ذات الإمكانيات المادية المحدودة ولكن يتعلق الأمر أيضا بالفئات الغنية.
- ذلك أن الدراسات حول الجنوح الخفي la délinquance cachée كان لها تأثير قوي على السوسيولوجيين الأمريكيين الذين تخلى أكثرهم عن الاعتقاد بأن الجنوح خاص بالطبقات الفقيرة.
- وما يميز الجنوح في الطبقات الفقيرة، حسب هذه الدراسات، هو استمراريته على عكس الطبقات الأخرى التي تقل وتنقص فيها نسبة الجنوح مع التقدم في السن.
- وما قد يميز أيضا جانحي الطبقات الفقيرة هو ارتكاب بعضهم لعدد كبير من الجرائم العنيفة مقارنة مع أقرانهم من الطبقات الأخرى.
- كما قد يكون الدافع هو الرغبة في الربح السريع والحصول على بعض ما حُرِم منه هؤلاء الأطفال.
- وتجدر الإشارة أيضا إلى خطر المخدرات على المراهقين وانتشارها وسهولة بيعها واقتنائها.
- كل هذه العوامل السوسيولوجية تؤثر في تماسك المجتمع نظرا للاضطراب الذي تؤدي إليه وللخلل الذي تثيره من وجهة نظر الاندماج الاجتماعي.

2.1- الوسط الأسري:

- ينمو الطفل داخل أسرة هي التي تمنح له نوعا من التوازن إلى درجة يتقبل معها البعض مسألة أن الأطفال الذين يعيشون داخل وسط أسري مناسب يكونون محصنين ضد الانحراف.
- ولذلك، فإنه غالبا ما يتم الرجوع إلى أهمية السياق الأسري عند التعرض لأي اضطراب سلوكي لدى الطفل.

- وهكذا، يؤكد البعض على أن الخطر الكبير بالنسبة للأطفال الجانحين هو نقص العناية الأمومية ونقص صور التقمص.
- ويتزايد هذا الخطر كلما تأخرنا في إعطاء الطفل وسطا أسريا بديلا، أو عندما يتعذر علينا مساعدة الوسط الأسري الحقيقي في تطوير ظروف حياة الطفل وعلى إبقاء الطفل داخل أسرته.
- إن طبيعة العلاقة الأسرية تلقي الضوء على كثير من الغموض الذي يكتنف موضوع جنوح الأحداث.
- فالأطفال الجانحون لا يعانون فقط من تواجدهم في ظروف مادية صعبة، ولكن أيضا إما أنهم يفتقدون صور والدية تسمح بتقمصات بنيوية أو أنهم يدخلون في صراع مع آباء غير ذوي قيمة بالنسبة لهم وغير متكيفين اجتماعيا.
- وفي هذا الإطار، تجدر الإشارة إلى أن الأب في المجتمعات المتحضرة فقد وضعيته الخاصة التي أصبحت غير مقيّمة؛ فأحيانا يكون الأب عاجزا أمام المشاكل الصغيرة التي يثيرها الأطفال.
- أما العلاقة أم-طفل، فيمكنها أن تضطرب نتيجة غياب الأم الذي فرضته الظروف الاقتصادية (عمل الأم خارج المنزل) أو نتيجة أسلوب تربوي غير ناجع، أو نتيجة الحرمان العاطفي منذ الطفولة المبكرة.
- والأمر الذي قد يلعب دورا مهما في هذا الإطار هو الجانب غير المؤمن للأم؛ فقد تعاني الأم نفسها من اللاأمان لعدم لعب الشريك لدور السند الكافي والملائم.
- أما الانفصال والطلاق، فلهما نتائج سلبية لا تتمثل فقط في الحرمان أو الرفض، ولكن أيضا في اهتمام كاف قد يُعطى دون دفء من طرف واحد. وفي هذه الحالة يكون الاتصال خاليا من الإثارة ومن السلطة الفعالة.
- إن أشكال التفكك الأسري تتنوع، ويختلف تأثيرها بحسب السن. وهكذا، تتعذر إمكانية إعطاء تعميمات.

- ذلك أن عمل الأم لا يؤثر في سيرورة نمو الطفل إذا تم إدخاله في جدول زمني منظم. أما إذا كان العمل بطريقة غير منظمة، فإنه قد يثير إحساسا كبيرا باللاأمان وبالتخلي. كما أن استقلال المرأة قد يضفي على الأب طابع العاجز والناقص (J. De Ajuriaguerra)
- إن الدراسات التي تناولت العلاقة بين الحرمان من الرعاية الأسرية والتصدع الأسري من جهة، وبين انحراف الأحداث من جهة أُخرى، تُشير إلى تأثير الحرمان والتصدع الأسري على شخصية الطفل وعلى تحديد سلوكه وتصرفاته في المستقبل.
- لم يعد اليوم هناك أدنى شك في العلاقة بين الحرمان العاطفي والانحراف (الابتعاد عن القيم المرغوبة في المجتمع) حيث ثبت من الدراسات العديدة -وأشهرها دراسة "بولبي" عن العلاقة بين الحرمان من حنان الأم والجنوح- مدى تكرار التصرفات غير المتكيفة في مؤسسات رعاية الأطفال المحرومين عاطفياً.
- كما أن الممارسة العملية تُظهِر أن معظم الجانحين والمتشردين يعانون من أحد أشكال الحرمان الدائم أو المحدد بفترة زمنية من حياتهم، وأن هذا الحرمان لا زال قوة فاعلة في الآلام المعنوية التي يعانونها، والتي تساهم في دفعهم إلى الانحراف.

3.1- العوامل الشخصية:

- يتسم التاريخ الشخصي للجانح بطفولة مليئة بتجارب من الحرمان أو من العدوان من قبل الوجوه الوالدية. وعندما يُعرقَل الارتباط الآمن، فإنَّ الطفل يدرك أحد والديه (أو كلاهما) باعتباره غريبا وشريرا وغير جدير بالثقة.
- وهكذا، تتكون ذات معظمة لكي تكون قادرة على منحه نوعا من الكفاية الذاتية.
- ويسم النقص الوجداني وغياب الروابط الوثيقة هذا النمو الشاذ للكفاءة العلائقية، وذلك تبعا لاتجاهين متناقضين:
  - ❖ فمن جهة، هناك رفضا لكل نوع من العلاقة ومن التجربة الوجدانية.
  - ❖ ومن جهة أخرى، هناك محاولة ربط العلاقة مع الآخرين عن طريق ممارسة القوة والتهديم.

- وتتمثل بعض السمات الغالبة لدى هؤلاء الأفراد في عدم الإحساس بالذنب عند إلحاق الأذى بالآخرين.
- ويتميز هؤلاء الأطفال بنوع نموذجي من العدوان؛ فهم يخططون بعزم لسلوكات يهدفون من خلالها إلى الهدم والإيذاء وتولد لديهم نوعا من اللذة.
- وفي هذا الإطار، تشير بعض الدراسات إلى أن سلوك تعذيب الحيوانات إلى درجة قتلها كان جزءا من الجدول الإكلينيكي للأفراد الجانحين (Paulina Kernberg).
- أما الأنا الأعلى وضعفه، فهو أصل وسبب غياب كل معنى أخلاقي. وهذا الضعف يسمح أيضا بظهور واشتغال سلوكات شاذة اجتماعيا كثيرة الخطورة تغيب فيها مشاعر القلق أو الخطإ وكل محاولة لتبرير السلوك الشاذ إلى درجة قد ينفي فيها الفرد معها أية مسؤولية أو قد يرجع سبب مشاكله إلى العالم الخارجي.
- هكذا، تتميز التقمصات لدى الأحداث الجانحين بنوع من التداخل إلى درجة قد يبدون معها عاجزين أو لا يتوفرون على إمكانيات الاستدخال أو التقمص. فالتقمصات التي لدى هؤلاء الأطفال هي تقمصات مصطنعة وسطحية ملصقة على سطح الجهاز النفسي لم يتم استدخالها أو إدماجها في "الأنا" أو "الأنا الأعلى".
- وبالتالي، فإنها لا تنجز ولا تقوم بمهمتها الأساسية في بنينة الأنا الأعلى الذي يتكون، كما هو معلوم، انطلاقا من مجموعة من التقمصات، وخصوصا تقمصات أشخاص مهمين في المرحلة الماقبل أوديبية والمرحلة الأوديبية.
- ويطغى اللاأمان والشك في المستقبل مع النزعة العدوانية إلى هدم كل شيء.
- وإذا لم يتمكن الفرد من تكسير وتدمير كل شيء في الواقع، فإنه سيتمكن مع ذلك من هدم كل شيء، وذلك بأن لا يرى شيئا بمحاولته الانتحار أو تعاطي المخدرات.
- ويتم رفض المجتمع في أساسياته رفضا بنيويا من قبل هؤلاء الأفراد الذين يريدون الهروب (الهروب من المدرسة، الهجرة السرية ...)؛ فهم يستخدمون الواقع لحساب اللذة. ويرفض هؤلاء الأحداث الاندماج داخل البنية الاجتماعية.

2- بعض تمظهرات السلوك الجانح في مرحلة المراهق

1.2- الهروب:

- غالبا ما يكون محدودا في الزمن دون هدف محدد.
- هناك ثلاثة أسباب رئيسية لهروب المراهق من المنزل:

أ- غياب التواصل الناجع مع الوالدين.

ب- عدم القدرة على التعامل مع مشاكله الخاصة.

ج- إساءة المعاملة من قبل الوالدين أو الأقارب.

- إن الهروب غالبا ما يكون تعبيرا عن طلب للمساعدة؛
- يهرب بعض المراهقين لمرة واحدة، عقب خلاف أسري عنيف غير معتاد أو نتيجة وضعية أسرية غير مألوفة. ويعودون بعد ذلك بوقت قصير.
- ويهرب الآخرون بشكل متكرر، وذلك نتيجة صدمات وجدانية شديدة.
- وقد يهرب المراهق رغبة منه لإشباع رغبته في المغامرة والاستقلال عن الوالدين.

2.2- تعاطي المخدرات وتناول الكحول:

- غالبا ما تكون التجربة الأولى بدافع الفضول، أو تقليدا للأصدقاء ليصبح جزءًا من جماعتهم، أو نتيجة للملل ورغبة في المتعة.
- وقد يكون تعاطي المخدرات إدمانا عندما يستمر الشخص في استهلاكه رغم آثاره السلبية على الشخص.
- وغالبا ما يكون شكلا من أشكال التمرد ضد السلطة وضد القواعد التي يعتمدها المجتمع، أو نتيجة للتفكك الأسري أو للتخلص من حالات التوتر والاكتئاب، أو نتيجة فقدان الأصدقاء، أو الطرد من المدرسة.

❑ **حسب الدراسات الطولية:**

- إن بداية تناول الكحول والتبغ والمخدرات بأنواعها المختلفة غالبا ما يكون بشكل رئيسي في مرحلة المراهقة.
- وينخفض استهلاك هذه المواد مع بداية مرحلة الرشد (باستثناء التبغ).

أ- الآثار السلبية لتعاطي المخدرات وتناول الكحول في مرحلة المراهقة:

- تعتبر المرحلة العمرية فيما بين (15 إلى 25 سنة) مرحلة مهمة من المسار الذي يقطعه نضج الدماغ.
- وغالبا ما يؤثر الاستهلاك المفرط للكحول والمخدرات على الدماغ واشتغاله، تبعا لكمية الجرعات وتكرارها وأنواعها.

❑ **تأثير تناول الكحول على المراهق:**

- يكون المراهق أقل حساسية تجاه الآثار السلبية للكحول (الاسترخاء، انخفاض حرارة الجسم ، ...) ولكن أكثر تقبلاً للتأثيرات الإيجابية (السلوك المتحرر، سهولة التفاعل الاجتماعي، ...).
- التأثيرات السُّمِّية العصبية لهذه المواد تؤثر على كفاءات التعلم وتخزين المعلومات.

❑ **الآثار السلبية لتعاطي المخدرات في مرحلة المراهقة:**

- ارتفاع خطر الإصابة بالاضطرابات الذهانية
- ظهور الاضطرابات المعرفية (الذاكرة والانتباه والتركيز) التي ترتبط بكمية الجرعة، وتكرارها، ومدة الاستهلاك، والتعاطي المبكر، وطول مدة التعاطي.
- خلل على مستوى النشاط المدرسي، والنشاط المهني واللامبالاة الوجدانية.

ب- الأسس البيوعصبية للإدمان:

✓ ما هي الأسباب التي تجعل نسبة مهمة من الأشخاص الذين يتناولون المخدرات (10-30٪) يفقدون التحكم في استهلاكهم لهذه المواد؟

- **العوامل الوراثية** (تشكل 50 ٪ من خطر المرور إلى الإدمان لدى الفرد): تقوم الوراثة بدور مهم خلال المراحل المبكرة من المراهقة. وتصبح العوامل البيئية فيما بعد أكثر أهمية؛ خصوصا تأثير جماعة الأقران.
- **العوامل النمائية** (الحياة الرحمية، المراهقة).
- **العوامل الوسطية** (الضغط النفسي، المخدرات، الأسرة ...).
  - يرتبط تعاطي المخدرات في البداية باللذة؛ هنا نتحدث عن التعزيز الإيجابي (الدوبامين).

- وعلى المدى الطويل، نتحدث عن التعزيز السلبي والإكراه والشغف.
- الطريق المؤدي إلى الاعتمادية (الادمان) يمر من خلال ما يسمى بالآلية والزيادة التدريجية على مستوى الرغبة في الاستهلاك.
- الاستهلاك المزمن يؤدي إلى تكيفات على مستوى الدماغ.

ج- العوامل النفسية للإدمان في مرحلة المراهقة:

- الشعور بالأمان يسمح للطفل بمواجهة أي انفصال عن الوجوه الوالدية وتحمل الإحباط.
- كلما أحس الطفل بالأمان، كلما كان أكثر استقلالًا وقدرة على الانفتاح على العالم الخارجي.
- أهمية إشباع الحاجة إلى الأمان والارتباط لكي يتمكن الطفل من الانفصال عن الأم وتحقيق الاستقلالية.

❑ **وعلى العكس من ذلك**، فقد يؤدي الحرمان الوجداني في مرحلة الطفولة، نتيجة تجارب علائقية مبكرة غير مشبعة، إلى ظهور ميولات ارتباطية واعتمادية على المستوى العلائقي لدى الطفل والمراهق. الأمر الذي يجعل المرور إلى فعل الإدمان أكثر سهولة.

3.2- سلوك السرقة:

أ- أسباب السرقة في مرحلة المراهقة:

❑ أسباب السرقة في مرحلة المراهقة كثيرة، وتتمثل خصوصا في:

- ✓ شعوره بعدم الأمان وبعدم استقرار الوضع الاقتصادي للأسرة.
- ✓ لملء فراغ أو نقص ما في حياته.
- ✓ للفت الانتباه وطلبا للمساعدة والاهتمام.
- ✓ تعبيرا عن غضبه ورفضه لإهمال أسرته له.
- ✓ رغبة في إشباع حاجة ما، ويتعلق الأمر خصوصا بالمراهقين المدمنين على المخدرات.

ب- موضوع السرقة في مرحلة المراهقة:

- ✓ سرقة الملابس، الدراجات النارية، السيارات، المحلات ...
- ✓ في البداية، يتعلق الأمر بنوع من التباهي والتفاخر أمام الأصدقاء.
- ✓ بتعبير آخر، هي وسيلة لإثبات الذات.
- ✓ وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى عدم تهويل الأمر في البداية، وإذا تكرر فعل السرقة، ترتفع احتمالية دخوله في دائرة الجنوح.

4.2- السلوك العدواني في مرحلة المراهقة:

- ✓ تعرف ظاهرة العدوانية لدى المراهقين انتشارا كبيرا في السنوات الأخيرة.
- ✓ تتضافر مجموعة من الأسباب في ظهور هذه الظاهرة، وتتمثل خصوصا، في العوامل الأسرية والمدرسية ووسائل الاتصال والتواصل.
- ✓ تنتشر بين المراهقين أنواع مختلفة من العدوان؛ من قبيل: العدوان اللفظي والاعتداء الجسدي والاعتداء الجنسي.
- ✓ وقد يكون العدوان موجها نحو الآخرين أو نحو الذات (الانتحار).
- ✓ يعاني المراهق العدواني من غياب العطف والحنان ويفتقد الشعور بالأمن والطمأنينة خلال مراحل حياته، فيلجأ إلى السلوك العدواني لتعويض الحرمان والنقص اللذين يعاني منهما.
- ✓ غالبا ما تكون هذه السلوكات تقمصا للسلوكات العدوانية في البيئة التي يعيش فيها.
- ✓ وقد يكون السلوك العدواني، أيضا، استجابة نموذجية للإحباط (dollard ،miller).

VI- التدخل العلاجي في مجال السلوكات ضد اجتماعية عند الطفل والمراهق:

- ✓ يمكن حصر التدخل على مستوى السلوكات ضد اجتماعية في مرحلة الطفولة والمراهقة في شكلين اثنين؛ فقد يهدف التدخل إلى الوقاية من الإصابة بالسلوكات ضد اجتماعية، كما قد يهدف إلى علاج هذه السلوكات ضد اجتماعية.

1- الوقاية من السلوكات ضد اجتماعية:

- ➢ تعتمد بشكل أساسي على جودة التفاعلات المبكرة ونجاعة الطرق التعليمية التي تأخذ بعين الاعتبار عمر الطفل وكفاءاته.

- إن مساعدة الطفل على إغناء معجمه واكتساب مهارات تعبيرية جيدة تلعب دوراً رئيسياً في السيطرة على العدوانية (التحدث إلى الطفل ...).
- إنماء التبادلات مع الطفل (اللعب معه، مشاركته في إنجاز عمل ما، المشاركة الوجدانية...).
- أهمية الأخذ بعين الاعتبار قدرات الطفل أو المراهق وإيقاعاته الخاصة لتجنب أي تبخيس على مستوى تقديره لذاته؛ فالطفل الذي تم دعم محاولاته الاستكشافية المبكرة، يكون قادرا على مواجهة وتقبل متطلبات الحياة على اختلافها دون إحباط.
- إن وضع الحدود والممنوعات ضروري لتنمية الشعور بالأمان لدى الطفل والمراهق، غير أن وظيفتها التنظيمية تعتمد على السياق؛
  - يجب ألا تمنع هذه الحدود الانخراط في الاستكشافات والتجارب المنسجمة مع الأمان الجسدي والنفسي للطفل والمراهق.
  - أما الحظر والمنع، فيرتبط أساسا باحترام الآخرين. ويتم تحديد هذه المحظورات تبعا لما تشكله من خطر على الطفل أو على الآخرين.
- وهنا، يجب التأكيد على أهمية الكلام في حل الصراعات دون الإفراط في التفسيرات اللانهائية والتي قد تؤدي إلى عدم إحساس الطفل والمراهق بالأمان والطمأنينة.
- كما أن عنف الراشدين والعقاب الجسدي أو النفسي يهدد النضج النفسي للطفل والمراهق (التهديد بفقدان الحب، والتبخيس، والازدراء)؛
  - إن هذا العنف يؤدي بالطفل والمراهق إلى إخفاء الانفعالات المختلفة وعدم التعبير عنها خوفا من التعرض للعقاب. وهو ما قد يتمظهر مستقبلا على شكل اضطرابات سلوكية.
  - إن الإحساس بالأمان هو الذي يصبغ على الانفعالات الطابع الاجتماعي على المستوى العلائقي (عقلنة الانفعالات).

2- علاج السلوكات ضد اجتماعية:

- الهدف الأساسي من العلاج، يتمثل في القضاء على اضطرابات السلوك وإتاحة الفرصة للانفعالات والمعاناة النفسية للظهور في أشكال اجتماعية.
- إن العناصر التي سيتم العمل عليها لتحقيق هذه الأهداف، تتمثل في: تعزيز حل الصراع من خلال خلق الشعور بالأمن والأمان (احترام الذات مرتبط باحترام الآخرين) والعمل على استعادة الروابط الاجتماعية.
- ويستند العلاج على تقييم الطفل / المراهق، وتقييم اضطراباته، وتفاعلاته مع المحيط.
- ربط علاقة جيدة مع الآباء حتى يتمكنوا من فهم معاناة أبنائهم ويشعرون أنهم قادرون على الاستجابة بشكل أكثر ملاءمة (بعيدا عن التذنيب، التهميش ...).
- ربط علاقة جيدة مع الطفل.

❑ تختلف أنواع التدخل العلاجي حسب طبيعة الحالات موضوع التدخل، ومن أهمها:

أ- **العلاج الدوائي:** قد يكون مهما للمساعدة في احتواء العدوان، والحد من القلق، وعلاج الميولات الاكتئابية.

✓ غالباً ما يكون العلاج الدوائي غير كاف لوحده للسماح بإعادة تأسيس الروابط الاجتماعية، وحل الصراعات وخلق الشعور بالأمان (أو استعادته).

ب- **تقديم الدعم النفسي:** تأسيس علاقة ثقة مع الطفل والمراهق، والعمل على استعادة تقدير الذات المرتبط أساسا بتقدير الآخر.

ج- **الاستشفاء:**

✓ **قد يكون الاستشفاء** ضروريًا لعلاج الإدمان واستعادة الإحساس بالأمان بالنسبة للأطفال والمراهقين وبالنسبة للآباء أيضًا.

د- **التدخل المؤسساتي:**

❑ وقد يتم الاستعانة بالتدخل المؤسساتي، خصوصا، في حالة الجنوح؛

- فعلى الرغم من رفض البعض لأسلوب التدخل المؤسساتي في رعاية فئة الجانحين الأحداث، إلا أنه يُعتَبر الخيار الأساسي الموجود في بلادنا، لذا فإن الجهود يجب أن تُبذل للرفع من مستوى الخدمات المقدمة داخل المؤسسات الإصلاحية.

- وفي الأخير، لابد من الإشارة إلى أن أهمية التدخل تتمثل في كون سيرورة الاضطراب تحدث في أوج النمو الوجداني والذهني للطفل الذي يتغير في كل لحظة ويغني علاقة الطفل بالعالم المحيط.
- ولكي يكون التدخل ناجعا، فإنه من الضروري أن لا يتم التركيز على مفهوم السلوكات ضد اجتماعية، وإنما على العراقيل التي تقف أمام اندماج هذه الفئة. فكيف يمكن أن يأخذ مفهوم الاندماج معناه في هذا الإطار؟

❑ **استنتاجات**

- انطلاقا من العوامل التي تم عزلها باعتبارها عوامل تزيد من احتمال السلوك ضد اجتماعي والمتمثلة في العوامل الاجتماعية والشخصية والأسرية، فإنه يمكن اعتبار الاندماج سيرورة ذات طبيعة مركبة يجتمع فيها النفسي والمعرفي والاجتماعي؛ فالأمر لا يتعلق بقولبة الطفل في قوالب مسبقة من المثل الاجتماعية، وإنما بالكشف عن العوائق التي اصطدم بها أثناء نموه وأدت إلى اضطراب علاقاته الغيرية، وذلك بهدف مساعدته على إيجاد الحلول لصعوباته النفسية الداخلية لكي يتمكن من استخدام كل طاقته الوجدانية والذهنية من أجل اندماج اجتماعي ناجع. وهكذا، فلتحقيق اندماج جيد على هذا المستوى لابد من:
- التدخل المبكر؛ فاستجابة طفل 6-7 سنوات أكبر من تلك التي عند طفل 10-11،
- الاستعانة بأخصائيين نفسيين ومساعدين اجتماعيين لرد الاعتبار للجانب الوجداني والعلائقي لدى هذه الفئة،
- ضرورة اعتماد أي تدخل على تقييم معمق لصعوبات الطفل بالاعتماد على المقابلات الإكلينيكية وعلى الاختبارات النفسية والملاحظات المباشرة.

❑ ونخلص مع دولتو Dolto إلى فكرة أساسية مفادها، أن الطفل الذي يتصرف بطريقة غير مقبولة اجتماعيا، عنده دائما شيء ما ليقوله لنا، ويكون وراء سلوكه المضطرب. ومهمتنا هي محاولة فهم ما يحدث وإفهام الطفل الذي لا يفهم لأن الراشد لم يتمكن من إفهامه.

- ❑ وهذا حال كل طفل يحاول أن يشرح ما يحس به وما يرغب فيه ولا يعرف كيف.
- ❑ لهذا، يكثر لديه سلوك التذمر، والصراخ، والعدوانية أو السلبية.
- ❑ إن ما لا يعرفه الآباء، حسب "دولتو"، هو ان الطفل منذ ولادته، كائن لغوي وأن الكثير من صعوباته حينما تفسر له، يتم حلها لصالح نموه.

❖ وفي الأخير، نؤكد على أن الأخذ بعين الاعتبار المعاناة النفسية للأطفال والمراهقين يجب أن يكون ضرورة وأولوية في مجال الصحة وفي نظامنا التعليمي.